

يوم إبداعى الشخصى:
قبل النقد:

هذا يوم إبداعى الخاص، تركت مساحته لبداية نقدية واعدة قامت بفتح باب نحن فى أشد الحاجة إليه، فى تناول هذا العمل الذى لا يحتاج نقدا واحدا، بل نقدا على نقد على نقد على نقد، طبعا أعنى النص اللحن الأساسى، فليس من حقى أن أصف اجتهادى على النص الأساسى بتقاسيمى المتواضعة، ومع ذلك أسعدتنى هذه المبادرة بما أظهرت، وبما وعدت، حين تكتمل بإذن الله، حين تصبح كل التقاسيم فى متناولها.

أكتفى بهذا القدر شاكرا فرحا، وأعتبر أن يوم إبداعى الخاص، هو يوم أن تلقيت هذا النقد الخاص، الذى كنت ومازلت أنتظره، وقد أثار فى تساؤل جديد عن مدى توفيقى فى النقلة من النقد للنقد الأساسى، إلى هذا النقد التقاسيمى لقيمة الأحلام.

فادعونا نقبل إبداع الناقدة الجاد، ونأمل أن تواصل جهودها الواعد الرائع، ونحن نتذكر من جديد، أن النقد الذى يستحق هذه الصفة هو الذى يقوم بإعادة تشكيل النص، وهذا بعض ذلك..

ملاحظات نقدية على الأحلام والتقاسيم
د. أميمة رفعت

-1-

الأنثى

(1): الأنثى\ فى أحلام فترة النقاهة تيمة صعبة ومركبة وعميقة ولا يمكن سبر غورها فى بضعة أيام، أو إختزالها فى بضعة أسطر. وما سأكتبه هنا لا يتعدى كونه بعض الملاحظات التى لا أعتقد أنها وصلت أبدا للعمق الكافى للتيمة (إذا كان هناك ما يسمى بالعمق الكافى).
"الأنثى\ فى الأحلام والتقاسيم فتاة شابة، وإمرأة ناضجة، وأم وأخت. وسأترك (الأم والأخت) الآن وأركز على الفتاة والمرأة. حتى تُعرض بقية الأحلام، فبالرغم من أننى أقتنى أحلام فترة النقاهة إلا أننى أقرأها من النشرة مصحوبة بالتقاسيم ولا أستبقها حفاظا على حالة التوتر والترقب الذى يخلقه جو هذا النص الخلاب.

"فتاة\ الأحلام دائما جميلة، فاتنة، رشيقة، خفيفة الحركة وكأنها النسيم، يشير إليها الراوى بأنها فتاته وحبوبة قلبه ومالكة فؤاده. هى أمنية أو حلم أو وهم يحلم به الراوى ويتمناه ولا يناله، وكلما بدت أكثر حقيقية إمتلكت قلبه ووجدانه ولا يمتلك هومنها شيئا. فها هوفى الحلم (14) يتمنى أن تزوره (حبوبة القلب) فى المنام ولومرة واحدة، وعندما تأتية (بطلعتها البهية، ومشيتها السنية، وملاحها الأنيقة) لا يستطيع حتى لمسها...فقد أتته من عالم الأموات! وكان الملاح فى (18) فتاة جميلة (إرتعش لمرآها قلبه) وحين التفت إليها اختفت وحل محلها ملاح عجوز...وفى السفينة العابرة للمحيط (27) رأى (حبيبته) فى مقدمة السفينة، ولكنها لم تتعرف عليه وتجاهلته. وفى (83) كانت فتاة (درب قرمز) أشبه بالفتاة الأسطورية تمتطى جوادا مجنحا وتتحول وهى ترتفع فى السماء إلى كوكب مضى بينما يظل صاحبنا يرنو إليها بعينيه وهو يغرق فى ظلام الليل...ويظل ينتظر وجه حبيبته الذى علمه العشق والخلود يلمع فى الفضاء مثل بقية الوجوه الراحلة (110) ولكنه لا يأتى.. ويأمل فى ظهور(الفتاة التى لا تُنسى) فى النافذة الخالية (114) ولكنها أيضا لا تظهر..

الإختفاء المفاجيء أو الإنتظار الغير مجدى ليسا الحائلين الوحيدين اللذين يمنعان التواصل بين الراوى والفتاة، فهناك من يظهر للراوى فى بعض الأحلام ينهره: مثل الحلم (25) حينما كان مع الفتاة وحدهما فى حجرته فيدخل عليهما (الأستاذ) ليذكره بحدة بواجباته ويقتلعه مما لم يبدأ بعد، وآخر يحذره: (مدرس الحساب) (27) من أن يلقى بنفسه وراء حبيبته من مقدمة السفينة، وأيضا (الشرطى) (46) الذى يطارده، ثم يسخر من سذاجته عندما يلقى بنفسه من فوق البرج وراء حبيبته....ويبدو أن هذه الشخصيات ما هى إلا موانع من الداخل... داخله، ربما كانت هى نفسها ذاته الوالدية التى تحذره من "خطر\ الإقتراب، فى الحلم 25 نجد الراوى(يعلم) بلا مبرر سابق (أن سعادته قصيرة. وأنه لن يلبث أن يفتح الباب ويحى أحد) فيُفتح الباب فعلا ويدخل الأستاذ، بل ويبدو أيضا أن هذا المانع الداخلى كان من القوة بحيث انه يضطر لأن (ينادى رغبته) ولا تأتية تلقائيا نتيجة اللحظة. ولا يقتصر الأمر على هذا (الأستاذ) فى نفس الحلم بل يظهر شكل آخر للذات الوالدية (حكيم صينى) يذكره قبل أن يرجع إلى فتاته بأنه موهوب (وينتظره مستقبل رائع)، فيواصل سيره وهو يعرف (ما ينتظره من وحشة). ومع ذلك فهناك أحلام تواصل الراوى فيها مع الفتاة..

ولم تكن نتيجتها مرضية... ففى الحلم (28) تعاطف مع فتاة المائدة المستديرة وساعدها ولكنه فى النهاية تعرض لإبتزاز المقامرین وكانت هى رسولهم وظل (يتوقع فضحية أو شرا)، وينقذ الصبية الجميلة التعيسة (40) من الأخ المنحرف فتآمر مع أخيها على إتهامه باغتصابها.. ونلاحظ فى هذا الحلم تذكّره (كيف يتهمه أهله بالطيبة والغفلة) قبل أن يقدم على إنقاذها وأخذها إلى بيته ثم مقارنته - بعد الخديعة- بين ما يؤمن به من مبادئ وبين تحذيرات أهله ونصحهم له: (وعلى الرغم من إيمانى الراسخ فلم تغب عنى خطورة الموقف). وأخيرا فى الحلم (15) يتعرض للرفض مرتين على التوالى عندما يتقدم للزواج من زميلتيه فى العمل فيتلقى (طعنة نفذت إلى صميم وجدانه).. واللافت للنظر أن تلك الأحلام الثلاثة الأخيرة خلت تماما من مشاعر الحب والرغبة حتى عند طلب الزواج فى (15)، فإذا كانت الخطورة تكمن فى أى تواصل بينه وبين الفتاة فما باله إذن بما سيحدث إذا أحبها أو رغب فيها! ولعل الحلم (38) يوضح خوفه هذا وتردده (تكتسحه الدهشة والرغبة) عند دخول فتاة فى العشرين (جميلة ومثيرة ورشيقة) ثم (ساوره الإرتياب من ناحيتها) وبالرغم من أنها (ظهرت له... وتتبعته... وإستقرت فى منزله) إلا أنه لم (يحل من الوسواس) وأراد الهرب. وربما توضح الأحلام التالية مدى خوفه ووساوسه من دخوله فى أى علاقة حسية مع فتاته: يسبح مع (عشيقتة فى مناجاة غيبت عن وعيها الوجود) (69) ثم يفاجأ بإنذار بوجود قنبلة زمنية فيتساءل إذا كان لحيبته (ثمة علاقة بالجرية؟)... يتلقى الدعوة بالإختلاء بحبيبته من أمها (75) (بذهول وفرح، ثم يكتشف أن الشقة التى سيختلئ بها فيها تدار لأمر غير مشروعة يعلم من أمها، ونلاحظ هنا أن رجل الأمن الذى ظهر- الذى ربما كان يمثل الذات الوالدية للفتاة وليست له هوشخصيا حتى أنه وصفه بـ: (رجل من رجال الأمن) كان متواطئا هو أيضا فى هذه المؤامرة: (فوقف عند الباب زاعما الحفاظ على القانون) وعندما حاول صاحبنا الهرب - نلاحظ هنا تصرفه تلقائيا دون ظهور أستاذ أو غيره - وقف له رجل الأمن يمنعه (فتسمر فى وضعه فريسة للذهول وخيبة الأمل)... فى (96) رغب فى فتاة وجددها (تجفف جسدها العارى) فى حمامه ولكنها صدته ولم تأبه برغبته...

فتاة الأحلام إذن أكثر أمانا عندما تكون خيالا غير ملموس، وإنذارات الراوى الداخلية تحميه من المخاطر المحتملة وقوعها عند التواصل فتجنبه آلام الصد والرفض، وإحتمال الخديعة والترك. وقبل أن ننتقل إلى "المرأة" فى الأحلام يجب أن نقف قليلا عند الحلم (20) لإختلافه عن بقية الأحلام فى تناوله لتيمة "الفتاة": "نلاحظ فى هذا الحلم أنه لم تتم الإشارة إلى أن رفيق الراوى "أنثى" بأية طريقة، فلم يقل فتاة أو امرأة، لم يصفها بحبيبته أو صاحبته، بل لانرى حتى ضمير المؤنث المنفصل "هى"، هناك إعلان فقط بهما التاء المؤنثة نستدل منهما أن رفيقته لابد أن تكون فتاة / امرأة هما (صدقت) و(قالت). ورفيقة الراوى معه دائما على نفس الموجة من المشاعر والأفكار والحركة والتصرف، نفهم ذلك من ضمير المتكلم الجمع فى الحلم بأكمله: (خرجنا باحثين... نظرنا إلى الهلال... سمعنا... هليلنا... أسكرنا الفرح... إلخ) حتى عندما إنفرد فى التحدث عن نفسه لم نعرف ماذا فعلت هى فى المقابل فيقول: رأيت (رجلا عملاقا)، (شعرث بأنه يجب مراجعة الموقف). وعندما خلعا ملابسهما لم نجد أية إشارة لإعجاب أو حب أو رغبة حسية من أى نوع برغم كونهما رجل وامرأة عارين سكرين بنشوة الفرح. فما العلاقة إذن التى تربط هذين الإثنين؟ هل هى صديقة مقربة جدا إلى نفسه؟ أم هى نفسه ذاتها؟ فهل هى ذاته الأنثوية؟ ولنلق نظرة على الحوار بينهما فى آخر الحلم (فقلت ونحن غارقان فى الظلام "لنسبح نحو القارب" فقالت "وإذا ضلنا الطريق؟" فقلت: "نستطيع ان نسبح حتى الشاطئ فقالت: "سنكون عارين على الشاطئ" فقلت: فليؤجل التفكير فى ذلك) ألا يشبه هذا الحوار التفكير بصوت عال... كمن يحدث نفسه؟ أيقصد الراوى ب "غارقين فى الظلام" ظلام الليل بعد إختفاء الهلال، أم يقصد ظلام الداخل... داخله؟ يقول الرخاوى فى قراءته للحلم (12) عن عالم الداخل: (ذلك العالم "المثير للأعصاب"، والذى يصلنا غامضا بما يحتاج معه إلى رؤية مخترقة) ثم يصف محفوظ فى قراءة الحلم (25) (بقدرته على التجول بين حالات ذاته (ذواته، منظومات وعيه)، فهل تكون هذه إحدى ذوات محفوظ فعلا... ذاته الأنثوية؟

-2-

المرأة

المقابلة الأولى لنا مع (المرأة) فى الأحلام عنيفة صادمة. هى محاولة اغتصاب فى الحلم (21) لسيدة تسير على مهل، فى شارع مزدحم بالمارة، من قبل اربعة شبان. رد فعل الراوى صادم أيضا، فبرغم (الإرتياح والإشمئزاز) وقف (يراقب ما حدث) واكتفى بالأمان أن يتحرك ليفعل هو أو غيره شيئا. وتأتى (الشرطة) للإستجواب فيظهر الشعور بالذنب ويشعر (بالخزي والقهر). فما سبب هذه السلبية؟ هل هى خوف من الاشتباك مع المعتدين؟ أم هى سلبية عدوانية تخفى وراءها شيئا آخر؟

فإذا قارنا هذا الحلم بالحلم (58) حيث يرى الراوى فى الترام الجديد (أفعالا يندى لها الجبين) ثم يجد شابا من الخواجات (ينقض على طفلة يريد أن يلتهمها) فيحول الراوى فورا بينه وبينها. لم يكن سلبيا مع الطفلة بينما وقف يراقب إغتصاب السيدة فى تفصيل غريب (ينقضون عليها ويعبثون بها - يمزقون ثوبها ويعرون أجزاء من جسدها، والسيدة تصوت مستغيثة) وقد ظل واقفا يراقب هكذا حتى النهاية (وبعد أن تمت المأساة وفر

الجناة...إلخ)، هل هناك رغبة جنسية مكبوتة تحت هذه السلبية؟ هل (القهر) الذى شعر به أثناء إستجواب الشرطة هو محاولة داخله لقهر هذه الرغبة وكبتها؟ نلاحظ فى الحلم (58) أنه بعد إنقاذه للطفلة من الخواجة، وهما على وشك الإشتباك، تظهر فجأة سيدة جميلة لتريهما \ " سويلا\ " صورتها على غلاف سيرتها الذاتية (وهى عارية تماما) وينتهى الحلم فجأة!!...ما معنى هذه الإثارة التى تظهر فجأة؟ هل تمثل المرأة العارية رغبته الجنسية التى يحاول إنكارها وكبتها؟ ربما الأجدر بالتساؤل أولا كيف يرى الراوى المرأة فى هذه الأحلام؟

تظهر المرأة فى الأحلام (حتى الآن) قوية، مهيمنة، متحكمة فى زمام الأمور، بل وخطرة!! فهى فى الحلم (29) ذات وجه صارم ترتدى كالرجال وتسرق صاحبنا تحت تهديد السلاح بل وتلقيه خارج المصعد وهى تذكره - بقسوة- بعدم جدوى الصداقة بعد أن فقد أصدقاءه وهويدافع عنها.. هذا الحادث يدخل فى قلبه الشكوك بعد ان كانت نظرتة للمرأة فى أول الحلم متسامحة وأقرب إلى السذاجة، فيشعر أن (حوادث كهذه تترىب به هنا أو هناك) وفى الحلم (31) امرأة محاطة بالكلاب الشرسة وبمقدرتها وحدها (ان تقوم بالخدمات) أو(تفنى من تشاء)! ويستسلم الراوى (أذعنت، ووقفت أمامها فى خشوع) يطيع أحكامها الأمرة النهائية دون أن يفعل شيئا متعللا (بالأمل).

يختلف الأمر قليلا فى الحلم (49) فتختلط السطوة بالإثارة (سيدة جميلة) تدير أعمالها بشروطها الخاصة (فالأجور تحدد تبعا للإتفاق معها) فيخشها الراوى ويشعر بأن (الأخذ برأيها يجعلهم تحت رحمتها) عند هذا الحد كان الراوى يفكر ويجادل ويطلب تأجيل القرار حتى يكمل المناقشة فى جلسة أخرى، ولكنها تظهر بصورة أخرى فى الخفلة الموسيقية (ولا يدري إلا والسيدة تتجرد من ثيابها وترقص عارية وبصورة غاية فى الإثارة)! وبسرعة يقرر الراوى الهرب... فيهرب من الشركة كلها وصاحببتها. مرة أخرى نجد المرأة عارية بل وبإثارة شديدة، هل هكذا تدير شركتها؟ أم أن هذه الصورة تجسيد للرغبة التى أثارها داخله هذه المرأة القوية، وبمجرد أن شعر بها الراوى أنكراها وهرب؟

فى الحلم (50) (يتطلع) الراوى - مجرد تطلع - إلى (إمرأة فاتنة). فيظهر له فجأة من يشبه القواد، يزين له المرأة وسهولة التواصل معها، ويصفه الراوى بأنه (براق العينين، منفر) ولكنه فى البداية لم يصد. وبعد المقابلات والملاحقات - من قبل القواد- التى لم تسفر عن شيء (يخشى على سمعته) فيحاول التخلص منه.. ويفشل. يقول الرخاوى فى قراءته لهذا الحلم: يقفز لى (من الداخل) هذا التفسير جاهزا كلما لاحت لى تنويعات الملاحقة فى الإبداع والمرض على حد سواء)،.. فرجما أن هذا القواد القبيح إذن ليس إلا رغبته الجنسية التى يحاول الهروب منها حتى أنه ترك المدينة بأكملها (وقرر الإنتقال إلى الإسكندرية) فوجد ملاحقه فى إنتظاره على المحطة بمجرد وصوله.. فرغبته لم تفارقه أبدا! وكأن صاحبنا ملل هذه الرقابة الداخلية التى تمنعه من الإستسلام لأحاسيسه وتشوه له الرغبة، فقرر فى الحلم (54) أن يتمرد... فهاهى الرقيبة - التى ربما تمثل الذات الوالدية الأم - يصفها الراوى بأنها (سيدة من أهل البيت لعلها أمى أوأخرى فى منزلتها) تراقب (بريبة) خلوته- التى تبدوبريئة- مع المذبةعة. فيتمرد صاحبنا على غير عادته...ويتحدى (بصورة غير مسبوقه) فيندفع ناحية المذبةعة أمام عين الرقيبة ويضمها إلى صدره، فيرتاح (لم أعد أبالى شيئا) وتختفى المرأة التى تراقبه من الحجره (بل من البيت كله).... وهكذا يتحرر من هذا الضغط الداخلى.

تختلف الأمور قليلا، ويحاول الراوى الإستسلام دون إستجابة حقيقية أو تفعيل لرغبته، ولكن على الأقل دون هرب، يبدأ الحلم (64) بشعور الراوى بالرعب الشديد، فعلى بعد ذراع منه (ثلاثة كلاب ضخمة متوحشة) تريد الإنقضاض عليه، لولا